



اختيار الأب البطريرك دروس من تاريخ كنيستنا المجيدة

الأب سرابيون

يوليو ٢٠١٢



إختيار الأب البطريرك دروس من تاريخ كنيستنا المجيدة

نصلى جميعاً في كل قداس في هذه الأيام ضارعين للرب "أذكر يارب نفس أبينا مثلث الرحمات البابا شنودة الثالث تفضل نيجها في أحضان قديسيك وأنعم بأن تقيم لنا راعياً صالحاً ليرعى شعبك بالطهارة والعدل". وفي نفس الوقت نراجع قوانين كنيستنا وتقاليدھا وتاريخھا العريق في إختيار الجالس على كرسى مارمرقس. وأود في هذا البحث أن نتناول دروس من تاريخ كنيستنا في إختيار الأب البطريرك وأركز موضوعي في إختيار الأب البطريرك من بين مطارنة وأساقفة الإبيارشيات وهدفي هو إثراء المناقشة الحالية حول مدى قانونية إختيار الأب البطريرك من بين مطارنة وأساقفة الإبيارشيات راجياً من الرب أن يقودنا إلى الإلتزام بقوانين الكنيسة وتقاليدھا الراسخة.

المطلع لتاريخ كنيستنا في إختيار الأب البطريرك يجد تنوع طريقة إختيار الأب البطريرك ما بين بطريرك يختار من يأتي بعده أو إجراء قرعه لإختيار شخص أو إجماع الأساقفة والشعب على شخص معين أو إجراء أنتخابات تعقبها قرعه هيكلية كما تنوعت الفئات التي تم إختيار البطريرك منهم فأختارت الكنيسة من اساتذة مدرسة الأسكندرية اللاهوتية أو الرهبان أو العلمانيين. ولكن الحقيقة الواضحة إنه رغم كل الظروف التي مرت بها الكنيسة في تاريخها الطويل لم تختار من بين مطارنة وأساقفة الإبيارشيات إلا في فترة قصيرة لا تتعدى ثلاثين سنة ما بين 1928-1956 عندما إختير ثلاث بطاركة من مطارنة الإبيارشيات منهم أصحاب الغبطة الأنبا يونس التاسع عشر (1928-1942) وهو البطريرك ال 113 والأنبا مكارىوس الثالث البطريرك ال 114 (1944-1945) والأنبا يوساب الثانى البطريرك ال 115 (1946-1956).

أولاً: فكرة إختيار الأب البطريرك من بين مطارنة وأساقفة الإبيارشيات

رغم غنى كنيستنا بالأباء المطارنة والأساقفة الأجلاء عبر العصور بما إمتازوا به من القداسة والعلم والنجاح في العمل الرعوى في إبيارشياتهم أمثال القديس سراييون أسقف تيميس المعاصر للقديس أنثاسيوس والأنبا يوساب الأبح الذى عاصر البابا مرقس الثامن البطريرك ال 108 (1796-1809) والبابا بطرس الجاولى البطريرك ال 109 (1810-1852) والأنبا صرابامون أبو طرحة الذى عاصر البابا بطرس الجاولى (1810-1852) ونتيج عام 1853 وغيرهم لم تفكر الكنيسة مجرد التفكير في إختيار البطريرك من بين مطارنة وأساقفة الإبيارشيات بل إختارت من العلمانيين وبلغ عدد الباباوات الذين إختيروا من بين العلمانيين ستة وعشرين من بينهم الأنبا إبرام بن زرعه البابا ال 62 (976-979) والذى في عهده تمت معجزة نقل جبل المقطم وكان سريانى الجنس. ولكن متى بدأت تظهر فكرة إختيار الأب البطريرك من بين المطارنة وأساقفة الإبيارشيات؟

1-البابا ميخائيل (خائيل) الأول البابا ال 46 (744-767)

عاصر هذا البابا القديس فترة صعبة جداً في حياة الكنيسة من جهة الإضطهاد الخارجى فقد شهدت فترة بطريركيته نهاية الدولة الأموية وبداية دولة العباسيين وقد لاقى إضطهادات كثيرة من الولاة القساة. والقى في السجن عدة مرات ولكن ظل صامداً شجاعاً يدافع عن الإيمان الأرثوذكسى ويرعى شعبه بإخلاص وطهارة وبر ويمكن الرجوع لسيرة حياة هذا البابا القديس في كتاب قصة الكنيسة القبطية لأيريس حبيب المصرى الجزء الثانى. ولكن قبيل نهاية فترة بطريركية هذا القديس حدث حادث هام خلد أسم البابا ميخائيل الأول في تاريخ الكنيسة بأحرف من نور.

لقد ظل الكرسى الأنطاكى شاغراً فترة بسبب الأحداث السياسية التى صاحبت نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية. وحدث إن الأنبا اسحق أسقف حاران أشتهى أن يجلس على الكرسى البطريركى الأنطاكى وقد كانت له صلة وثيقة بحاكم البلاد الملك عبد الله أبى جعفر الذى كان مقيماً في حاران، فأستعان بالملك

عبد الله أبي جعفر ليساعده في تحقيق أمنيته ولكن اثنين من أساقفة الكرسي الأنطاكي عارضا الأنبا اسحق مذكرين آياه بقوانين الكنيسة التي تمنع أسقف الإبيارشية أن ينتقل إلى كرسي البطريركية وأيضاً التي تمنع الإستعانة بالسلطان لأخذ رتبة كهنوتية ؛ فغضب منهما الملك عبدالله وقام بقتلهما. وجلس الأنبا اسحق على الكرسي الأنطاكي ولكنه أراد أن يعزز مركزه فأرسل رسالة الشركة للأنبا ميخائيل الأول البطريرك الأسكندري مع أسقفى دمشق وحمص ومعهما هدايا ثمينة وأيضاً تهديد أنه في حالة عدم قبوله للأنبا اسحق كبطريرك فعليه الحضور إلى حاران للمثول أمام الملك عبدالله الذى كانت مصر تتبعه سياسياً. لما وصل رسل الأسقف اسحق إلى القسطنطينية قابلاً أبى عون والى مصر وأعلماه بالرسالة فطلب الأنبا ميخائيل وترجاه أن يقبل الرسالة ويستجيب لطلب الأسقف اسحق حرصاً عليه من بطش الملك. فطلب البابا الأسكندري من الوالى أن يمهله ثلاثة أيام ليعقد مجمعاً مع الأساقفة للتشاور معهم فى الأمر، فلبى الوالى الطلب فبعث البابا ميخائيل برسالة إلى الآباء الأساقفة يدعوهم لحضور المجمع للتشاور كما دعى الأسقفين الأنطاكيين للحضور أيضاً. وظل المجمع يجتمع لمدة شهراً كاملاً والوالى لا يضايق أحداً ولا يحاول أن يذكر البابا الأسكندري بأنه لم يطلب غير ثلاثة أيام للرد عليه.

وفى مطلع الشهر الثانى أجمع الأساقفة فى كنيسة العذراء الشهيرة بالمعلقة حيث أعلن البابا ميخائيل قرار المجمع الذى كتبه فى رسالته إلى الأسقف اسحق والتي صارت وثيقة تاريخية ونقل نص الرسالة:
"لا السيف ولا النار ولا الرمي للأسود ولا النفي ولا هذه كلها مجتمعه تخيفنى. ولن أرضى بعمل غير قانونى. ولن أدخل نفسى تحت حرمى الذى كتبت به بخط يدي والذى أعلنت فيه أنه لا يجوز لأسقف أن يصير بطريركاً. ولقد حرم أبائنا المكرمون كل من يأخذ الكهنوت من يد السلطان. فأن الأساقفة كانوا قد كتبوا إليّ من أنطاكية أيام يوحنا البطريرك أن كل من جلس بعده من المطارنة على السدة البطريركية يكون محروماً. بل كيف أعترف الآن بما أنكرته من قبل؟ وأن الآباء المكرمين أنفسهم قد حرموا كل من يسلك هذا المسلك".
وقد سلم الأنبا ميخائيل الأول خطابه هذا إلى الأسقفين المنتدبين من الأسقف اسحق.

عاد رسولا الأسقف اسحق إلى أبى عون والى مصر وطلبا إليه أن يطالب البابا ميخائيل بالذهاب معها إلى حاران. وكان أبوعون الوالى يحب البابا ميخائيل لذلك إختلى به ورجاه أن يوافقه ويخضع لحكم الملك عبد الله أبى جعفر وللأساقفة الموالين له ولكن البابا ميخائيل شكره وأعلمه أنه متمسك برأيه وأبدى أستعداده للذهاب إلى حاران وأعلن اثنين من الأساقفة هما الأنبا مويسيس والأنبا ثيودوسيوس أستعدادهما للسفر مع راعيهم البابا ميخائيل. وبعد أن أكمل البابا الجليل أستعداده للسفر وهم بالرحيل مع الأسقفين المخلصين له وصل رسول إلى القسطنطينية معلناً موت الأسقف اسحق. وعند ذاك بادر الرسل الأنطاكيون بالعودة إلى بلادهم فى سكون. كما ظل الأنبا ميخائيل الأول وأساقفة مصر مستريحى الضمائر.

نتعلم من هذه القصة الآتى:

- 1- أن حياة القداة التى عاشها البابا ميخائيل (خائيل) وشجاعته أمام الولاة الظالمين وإحتماله للسجن عدة مرات مكنته من الوقوف بشجاعة فى المحافظة أيضاً على قوانين الكنيسة وأنه لا يخاف التهديد.
- 2- قرار الأنبا ميخائيل لم يكن قراراً شخصياً بل أجمع بالمجمع المقدس لمدة شهر كامل وأتخذ القرار بعد دراسة للقوانين أشارك معه فيها أساقفة المجمع المقدس. وكان اثنين منهما على أستعداد للذهاب للإستشهاد مع المحافظة على قوانين الكنيسة.
- 3- أن قوانين الكنيسة التى تمنع أنتقال الأسقف إلى إبيارشية أخرى أو أخذ الكهنوت من يد السلطان هى قوانين الكنيسة الجامعة وليست الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فقط. فأساقفة الكرسي الأنطاكي كانوا ضد أن يجلس مطران أو أسقف إبيارشية على الكرسي الأنطاكي لذلك كما ذكر البابا ميخائيل فى رسالته أن الأساقفة الأنطاكيين كتبوا إليه فى أيام البطريرك يوحنا أن "كل من يجلس من بعده (البطريرك يوحنا) من المطارنة على السدة البطريركية يكون محروماً" وقد وافقه البابا ميخائيل ووقع بإمضائه على قرار أساقفة أنطاكية. لذلك تساءل فى رسالته فكيف أحرم نفسى الآن؟ وكيف أبرر اليوم ما حرمته بالأمس؟.

كل هذا يدل على أن حرومات البابا خائيل ليست حرومات شخصية بل هى حرومات صادرة عن مجمع كنيسة أنطاكية ومجمع كنيسة الأسكندرية. وقد أستشهد اثنين من أساقفة أنطاكية عندما رفضوا الموافقة على

إنتقال أسقف حاران إلى الكرسي الأنطاكي. صارت رسالة البابا ميخائيل وثيقة تاريخية فى حياة كنيسةنا وسميت قانون البابا خائيل وسارت عليها كنيسةنا المجيدة حتى القرن التاسع عشر عندما عادت فكرة إنتقال أسقف إيبارشية إلى الكرسي البطريركي تظهر مرة أخرى.

2-قرار المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية عام 1873:

بعد نياحة البابا ديمتريوس الثانى البابا ال111 (1862-1870) عام 1870 تعطلت سيامة بطريرك جديد بسبب إنتشار فكرة أنه بعد موت البطريرك وإقامة بطريرك جديد يموت الخديوى. لذلك عطل الخديوى اسماعيل إقامة بطريرك جديد فاقام الأساقفة والشعب الأنبا مرقس مطران البحيرة قائم مقام لإدارة شئون الكنيسة. ولما مضى ما يقرب من عامين على نياحة الأنبا ديمتريوس ولم يقم بطريرك جديد أرسل ملك الحبشة إلى الخديوى اسماعيل يستعجله فى إقامة البطريرك الجديد. فتوصل وهبه بك رزق الله باشكاتب ديوان مالية الحكومة مع الخديوى إلى فكرة إقامة الأنبا مرقس بطريرك حيث مضى على وجوده عامين ولم تحدث وفاة الخديوى كما كانت الإشاعات تقول. إرتاح الخديوى للفكرة وايضاً وجدت قبول لدى الأنبا مرقس وسعى وهبه بك لجمع توقعات من أعيان الشعب القبطى لتزكية الأنبا مرقس مطران البحيرة ليكون البطريرك وإستخدم وهبه بك سلطته على مرؤوسيه للتوقيع فوق الكثيرون ولكن كثيرين أيضاً لم يخافوا من سطوة الحكومة فرفضوا التوقيع لأنه مخالف لقوانين الكنيسة وحدث إنقسام وسط الشعب. ولما حضر الأنبا باسيليوس مطران القدس إلى مصر وأطلع على التزكية الخاصة بإقامة الأنبا مرقس بطريركاً رفضها ودعى لإنعقاد مجمع مقدس لبحث الأمر. وفعلاً إنعقد المجمع المقدس عام 1873 وتباحث الأساقفة فى الأمر وإنتهوا بقرار قالوا فيه "لا نسلم ولا نسمح قط للكهنه وشعب الكرازة المرقسية بحل وتعدي هذه الحدود الأبوية وكل من يطلب هذه الرتبة (رتبة البطريركية) من الأساقفة أو المطارنة أصحاب الكراسى أو سعى فيها أو رضى بها أو أحد سعى له فى شأن يطلبوه لها كاهن كان أو رئيس كهنة أو علمانى يكون محروماً" ولقد قدم المجمع بحث مستفيض معتمداً على آيات الكتاب المقدس وقوانين الكنيسة وطقوسها وتاريخها وتاريخ الكنائس الأخرى مثل الكنيسة الأنطاكية فى إثبات عدم قانونية إختيار الأب البطريرك من بين مطارنة وأساقفة الإيبارشيات. ونشكر الله أن نص البحث والقرار موجود ونرفقه مع هذا البحث التاريخي ولكنى أقدم ملخص للأسباب التى أعتمد عليها الأباء فى قرارهم. فالقرار لم يكن قراراً متسرعاً بل مبنياً على دراسة مستفيضة ولم يعتمد كما يقول البعض على ترجمة غير دقيقة لقوانين الرسل بل أعتمد على أسباب عديدة شرحها الأباء وبإستفاضة كبيرة.

1-فى المقدمة شرح الأباء الأسباب التى دعت لعقد هذا الإجتماع وإتخاذ القرار وهو كما سبق وذكرناه فى شرح الخلفية التاريخية لإنعقاد المجمع المقدس عام 1873.

2-أكد الأباء أن هدفهم ليس مجرد معارضة من يرغبون فى إقامة الأنبا مرقس وقرارهم ليس قراراً ضد الأنبا مرقس الذين قالوا عنه "الأب المطران المكرم لأنه أخونا وشريكنا فى الخدمة الرسولية" ولكن أكدوا أن هدفهم هو المحافظة على قوانين الكنيسة وتعاليمها لأن من واجبهم كأساقفة الدفاع عن قوانين الكنيسة وتعاليمها وتقاليدها المقدسة ولذلك رأوا من واجبهم معارضة ما رأوه مخالف لقوانين الكنيسة ودعوا الشعب جميعاً للإتحاد برأى واحد والتمسك بقوانين الكنيسة وتقاليدها المقدسة.

3-قدم أباء المجمع فى رسالتهم للشعب التى حوت قرارهم وأسبابه خمسة أسباب رئيسية هى:

1-إن تعاليم الكنيسة تؤكد أن من شروط من يُنتخب للبطريركية "أن يكون حبيباً أو راهباً أو له الخاصة ببعض رتب المذبح واما علمانياً ولكن لم يصرح فى شروط المرشح أن يكون أسقفاً صاحب كرسي أو مطراناً". وإستشهدوا بقوانين الكنيسة عن شروط المرشح للبطريركية وايضاً طقس سيامة البطريرك ثم قالوا "فالمفيد من صريح هذا النص أن كنيسةنا لم تجيز إنتخاب أسقفاً أو مطراناً للبطريركية بل من قمص فما دون ذلك الرتبة ولو كان هذا الأمر جازع عندها لكنت التعليمات الخاصة بإنتخاب وتسمية البطريرك تصرح عن ذلك وتقول مثلاً وإن كان المنتخب أسقفاً أو مطراناً صاحب كرسي فليكمل بطريركاً بل إنها لحد قمص ووقفت كما تبين من النص أعلاه حتى إنها صرحت بأنه إن لم يوجد كاهن أو شماس أو راهب فليكن علمانياً. ولو كان مطران كرسي أو الأسقف جائزاً لما احتاجت للعلمانيين مع وجود الرؤساء بكثرة وإذا كان هكذا

تعاليم كنيستنا وطقسها فهل يسوغ لنا مخالفتها الآن؟

2- أكد أباء المجمع المقدس أن بمطالعة تاريخ الكنيسة القبطية منذ عهد مارمرقس إلى البابا ديمتريوس الثاني لم يقم على الكرسي البطريركي مطران أو أسقف إيارشية بينما كل من جلسوا على الكرسي كانوا أما قمامصة أو قسوس أو شمامسة وما دون وأما رهبان بسطاء وأما علمانيين أبكار ثم أضاف أباء المجمع "لا يعقل قط أن المحافظة على هذا الأمر كان عبثاً أو صدفة بدون تعمد عن غير قصد. ولو كانت كنيستنا تجيز نقل الأساقفة من كراسيهم إلى البطريركية لكانت عندما يتعذر عليها وجود من يصلح من رهبان وأبكار الشعب القبطي لم تلجأ إلى إقامة أناس سريانيين الجنس كالأب سيمون الثاني والأربعون والأب أبرام الثاني والستون وغيرهما من الأباء السريان الذين جلسوا على كرسي الكرازة المرقسية بل كانت بالأولى تجلس من تنتخبهم من أعظم أساقفتها وأفضل رعاتها الذين هم أحق من الأجانب في الجنس والبلاد إذا كانت تسمح بنقل أحد المطارنة أو الأساقفة من كراسيهم إلى البطريركية". ثم قال الأباء المباركون "فالان لا يسوغ بنا قط مخالفة هذه القاعدة (عدم نقل أحد المطارنة أو الأساقفة من كراسيهم إلى البطريركية) بعد أن مضى عليها التسعة عشر جيلاً من المسيحية ولاسيما وقد قال الكتاب المقدس أذكر الأيام القديمة وأعتبر بالأجيال جيلاً فجيلاً. سل آباءك فيخبرونك ومشايخك فيقولوا لك (من سفر التثنية).

3- أكد أباء المجمع القديسون أن القاعدة التي سارت عليها كنيستنا القبطية منذ عهد مارمرقس حتى البابا ديمتريوس التي تقضى بعدم نقل مطارنة أو أساقفة الكراسي من كراسيهم إلى البطريركية مبنية على قانون الكنيسة الذي يقضى "ولا يتحرك أسقف من الأساقفة عن البلد أو الكور التي كُرِّز عليها إلى غيرها لقط بلده وصغرها وقلة أهلها أو قلة إيراداتها فلذلك يطلب ما هو أفضل منها فإن هذا غير جائز وإنما لكل انسان قسمته من الله". وواقع هذا النص يلخص عدة قوانين تمنع إنتقال الأسقف ويمكن الرجوع لبيان إيارشية لوس أنجلوس لنصوص القوانين. ولكن نجد أباء المجمع يضيفوا قائلين "وهذا قياس كما كنا تقدمنا في أمر المتزوجين وهو أن كل رجل من العلمانيين طلق امراته يرتكب علة الزنا فهو الفاجر لأنه إنما يطلب استبدالها بما هو أفضل منها وكذلك الأساقفة والكهنة يطلبون ما هو أفضل من مواضعهم فلذلك منعناهم".

4- يشير الأباء إلى حرم البابا خائيل السادس والأربعون ويشرحون القصة بالكامل ويؤكدون أن الحرم الذي أصدره المجمع المقدس برئاسة البابا خائيل يحرم أمرين أولاً أن يعين الأسقف أو مطران الإيارشية بطريركاً. ثانياً أخذ الكهنوت بمساعدة السلطان. واستخلص الأباء العبر من قصة الأب اسحق الذي أشتهى بطريركية أنطاكية وسعى بمساعدة الملك عبد الله وكيف أدى الأمر إلى إستشهاد أسقفين لأنهما عارضا الأسقف اسحق فقتلهم الملك عبد الله وأن الأسقف اسحق عندما تولى الكرسي مات وأنه في مساء يوم وفاته وثب أسقف اخر اسمه أثناسيوس على الكرسي الأنطاكي فمات في ثالث يوم جلوسه ثم بعد موت الأسقف أثناسيوس جلس على الكرسي الأنطاكي انسان اسمه جرجا فوثب عليه أسقف من كرسيه يدعى اسمه أبوداود بواسطة ما كان له من الداله عند الملك وكيل الملك جرجا المذكور بالحديد وحبسه. ويقول أباء المجمع تعليقا على هذه الأحداث المؤسفة "فتأملوا إلى ترك الأساقفة كراسيهم وجلوسهم على كرسي البطريركية وكيف إنه سبب ذلك قتل اثنين مطارنة وموت اسحق وموت أثناسيوس ثالث يوم وحبس البطريرك جرجا وإغتصاب الأسقف أبوداود بطريركيته بواسطة السلطان وهذه كلها سببها تقديم المطارنة والأساقفة إلى البطريركية فرحم الله أبائنا الذين منعوا حدوث مثل هذه الحوادث المؤسفة وحموا الكرسي المرقسي منها".

5- أكد الأباء أن لإختيار البطريرك شروطاً قانونية ينبغي علينا نحن المطارنة والأساقفة أن نحافظ عليها وأنه إذا تقدم أى شخص بطعن ضد مرشح فعلينا كاساقفة أن نفحص الطعن وإن كان غير قانونياً فنمنع اسبابه فإنه موكل علينا أن نحافظ على قانونية الترشيح للبطريركية فكيف يجوز لنا نحن المطارنة والأساقفة أن نوافق على أمر لم تجيزه كنيستنا ولا سمحت به مطلقاً وكيف يكون هذا ونحن مسئولون أمام الله بالمحافظة على قواعد كنيستنا القويمية.

أننا من استعراضنا السريع لأسباب إنعقاد المجمع المقدس عام 1873 وقرار المجمع وأسبابه نستخلص منه الدروس الآتية:

1- إن الكنيسة إعتادت أنه في حالة حدوث إنقسام وسط الشعب أن يبادر المجمع المقدس بدراسة

الموضوع وإصدار قرار واضح وصريح مدعماً بالأسباب المقنعة دون مجاملات. فباء المجمع المقدس لم يجاملوا الأنبا مرقس ولم يهابوا سطوة الخديوى أو وهبه بك ولكن تدارسوا الأمر بكل دقة وصدروا قرارهم دون أن يهاجموا أحد أو يشككوا فى نية أحد بل أهتموا بالموضوعية. لذلك أستطاعوا أن يوحدوا الشعب ويزيلوا الخلاف بل أن الأنبا مرقس مطران البحيرة والقائم مقام وقع معهم على القرار.

2-التزام الكنيسة بقوانين الكنيسة وتقاليدها أثمر ثمرة عظيمة هى إختيار البابا كيرلس الخامس الذى كان عصره عصر نهضة كبيرة للكنيسة استمرراً للربيع الكنسى الذى بدأ مع الأباء الذين سبقوه مثل الأنبا مرقس الثامن والأنبا بطرس الجاولى والأنبا كيرلس الرابع والأنبا ديمتريوس. فكانت فترة نهضة للكنيسة استمرت ما يقرب من قرن وربع (1796-1928) رغم ما مر بمصر فى هذه الفترة من أحداث كثيرة بدأت من الحملة الفرنسية وبدء حكم محمد على وثورة عرابى والإحتلال الأنجليزى ثم ثورة 1919 ثم إستقلال مصر عن الحماية البريطانية. نقارن هذا بما حدث عام 1928 عندما قرر المجمع المقدس السماح لمطارنة وأساقفة الإيبارشيات بالترشح لمنصب البطريركية فسارت الكنيسة إلى منطقة الظل وبدأت فترة من الخريف الكنسى أستمرت حتى عادت الكنيسة مرة أخرى للالتزام بالقوانين الكنسية فعادت الكنيسة تتمتع بفترة ربيع جميل أمتد من عام 1959 حتى عام 2012 أنعم الله علينا بأثنين من عظماء البطاركة البابا كيرلس السادس والبابا شنودة الثالث.

ونحن الآن أمام مقترح طرق علينا أن نختار ما بين إستمرار الربيع أو ندخل الكنيسة فى فترة خريف جديدة فى حالة عدم التزامنا بقوانين الكنيسة وتقاليدها العريقة.

ثانياً: خبرة كنيستنا مع اختيار بطريك من بين مطارنة وأساقفة الإيبارشيات

1-عام 1928:

يعتبر عام 1928 من الأعوام الحاسمة فى تاريخ كرسى مارمرقس ففى ديسمبر عام 1928 تم تجليس أول بطريك على كرسى مارمرقس من بين مطارنة وأساقفة الإيبارشيات وهو غبطة البطريرك يوانس التاسع عشر البطريرك ال113 (1928-1942) وسوف نتناول الخلفية التاريخية ونتابع الأحداث التى أدت إلى هذا التغير فى التقليد الكنسى التى عاشت به كنيستنا القبطية منذ عهد القديس مارمرقس إلى عام 1928.

خلى الكرسى البطريركى الأسكندرى بنيحة غبطة البطريرك البابا كيرلس الخامس فى 7 أغسطس 1927 والذى جلس على الكرسى البطريركى ما يقرب من 53 سنة 1874-1927 وكان قد بلغ من العمر 96 سنة. وبطريركية البابا كيرلس الخامس هى أطول فترة لجلوس بطريك على الكرسى المرقسى فى تاريخ الكنيسة القبطية. وقد شهدت الكنيسة نهضة كبيرة فى عهد البابا كيرلس الخامس وصار للكرسى المرقسى مكانه عالية على مستوى الوطنى وعلى المستوى العالمى ، خاصة أن مصر مرت بأحداث كثيرة خلال هذه الفترة مثل ثورة عرابى والإحتلال الأنجليزى لمصر عام 1882 وقيام الحرب العالمية الأولى ووضع مصر تحت الحماية الأنجليزية ثم ثورة 1919 وتحرر مصر من الحماية البريطانية وإعلانها دولة مستقلة ذات سيادة فى عام 1922 وتنصيب السلطان فؤاد ملكاً على مصر كأول ملك لمصر بعد إعلانها دولة مستقلة فى 15 مارس 1922. خلال هذه الأحداث العديدة قاد قداسة البابا كيرلس الخامس الكنيسة بحكمه بالغه وأكد دور الكنيسة الوطنى فى دعم إستقلال البلاد وكانت له علاقات طيبة مع زعماء الحركة الوطنية خاصة الزعيم سعد زغلول الذى أرتبط أرتباطاً وطنياً بالبابا كيرلس الخامس تدعمه المحبه الخالصه ووحدت الصفوف حتى أن نياحة البابا كيرلس الخامس كانت يوم 7 أغسطس ووفاة الزعيم سعد زغلول فى يوم 27 أغسطس 1927. مع نياحة البابا كيرلس الخامس ووفاة الزعيم سعد زغلول كان بمصر تياران التيار الوطنى الذى يتزعمه حزب الوفد وشارك فيه كبار الأقباط ودعمته الكنيسة بقيادة البابا كيرلس الخامس وكان أقرب المطارنة له والمساعدين له هو نياحة الأنبا يوانس مطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية بالأسكندرية الذى كان له موافقة الوطنية المشرفة بالإضافة إلى نشاطه الكبير مما أكسبه ثقة قداسة البابا كيرلس الخامس ومحبة الأباء المطارنة والأساقفة والشعب القبطى وأيضاً إحترام وتقدير زعماء التيار الوطنى المصرى. وكان يوجد تيار آخر يرى التعاون مع الأنجليز للاستفادة منهم فى تحديث مصر. كما وُجد بين رجال الكنيسة من له صلات صداقة مع رجال الكنيسة الأنجليكانية (الكنيسة الأسقفية) خاصة أن

الكنيسة الأنجليكانية أتبعَت سياسة بناء علاقات صداقة مع الكنيسة القبطية وساعدت الكنيسة في نهضتها ولم تركز على جذب الأقباط لترك كنيستهم والانضمام إلى الكنيسة الأنجليكانية مثلما كانت تفعل الكنيسة المشيخية والكنيسة الكاثوليكية.

وسط هذه الأحداث أنتقل قداسة البابا كيرلس الخامس في 7 أغسطس 1927 بعد فترة بطريركية طويلة أمدت ما يقرب من 53 سنة كما ذكرنا ولكن حدث توافق عجيب بين أعضاء المجمع المقدس والمجلس الملى على اختيار نيافة الأنبا يوانس مطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية بالأسكندرية وقد أرتكز هذا الإجماع الذى وجد قبولاً ليس فقط بين الأقباط بل بين المصريين عموماً على ما أمتاز به الأنبا يوانس من مواقف وطنية مشرفة ومحبة وإخلاصه للبابا كيرلس الخامس ووقوفه معه في المواقف الصعبة. كما أن الأنبا يوانس كان أكبر المطارنة سناً (كان عمره وقتئذ 69 سنة) وكان سكرتيراً للمجمع المقدس.

بدأ الأقباط يبحثون عن من يخلف البابا كيرلس واتجهت الأذهان كما اعتادت الكنيسة للبحث عن راهب يصلح واتجهت الأنظار إلى الراهب حنانيا الأنطوني والأرشيدياكون حبيب جرجس (الذى كان الشمس الخاص للبابا كيرلس الخامس). ونظراً لأشترك كثير من كبار الأقباط في الحركة السياسية الوطنية في هذه الفترة والدور الوطنى الذى قام به البابا كيرلس الخامس أتجه البعض إلى ترشيح الأنبا يوانس خاصة الأقباط الذين كان لهم دور في الحركة الوطنية. وظهر تيار سياسى مضاد بين الأقباط الذين كانوا يميلون إلى التعاون مع الأنجليز لتحقيق التقدم العلمى لمصر فرشحوا القمص يوحنا سلامة المحرقى وكيل مطرانية الخرطوم ومؤلف كتاب "اللألى النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة". والقمص يوحنا سلامة كان متزوجاً في شبابه وقد عاش مع زوجته فترة قصيرة إنتقلت بعدها فقصد الدير المحرق وترهب هناك لعدة سنوات ثم اختير ليكون وكيل مطرانية الخرطوم.

بدأ المعارضون لترشيح القمص يوحنا سلامة توجيه حملاتهم ضده وأتهموه بتهمه التودد إلى الأنجليز ووصلت هذه الاتهامات إلى مسامع الملك فؤاد حاكم مصر فأستدعى توفيق دوس باشا وزير المواصلات واستوضح حقيقة ما سمع، اجابه الوزير "أنتم تعرفون يامولانا أن الدعايات لا تعرف التعفف. وتعرفون كذلك من قراءاتكم الكثيرة أن باباوات القبط أوفياء لوطنهم وحكومتهم على مدى الأجيال. فقال الملك "نحن الآن فى موقف شديد التوتر مع الأنجليز فلا داعى لأنتخابات قد تأتى بشخص يقال عنه إنه مشايخ للأنجليز وأنا أعرف الأنبا يوانس شخصياً وأقدره وبهمنى أن يكون على رأس الكنيسة فى الوقت الحاضر". أعترض توفيق قائلاً: إن القانون الكنسى القبطى لا يجيز للمطران أن يعتلى الكرسي البابوى". ولكن مع إصرار الملك وافق توفيق دوس وبدأت الترتيبات لتحقيق رغبة الملك.

1-أجتمع المجمع المقدس صباح يوم الخميس 18 يوليو 1928 بالدار البابويه برياسة الأنبا يوانس وحضور أحد عشر مطراناً هم الأنبا مكاريوس مطران أسيوط ، والأنبا يوساب مطران جرجا ، والأنبا لوكاس مطران قنا وقوص ، والأنبا صرابامون مطران النوبه والسودان ، والأنبا ثاؤفيلس أسقف منفلوط وأنبوب والأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا ، والأنبا ميخائيل أسقف أبوتيج وطهطا ، والأنبا باسيلوس مطران القدس الشرقية ، والأنبا بطرس مطران الدقهليه والغربية ودمياط ، والأنبا ايساك مطران الفيوم ، والأنبا متاؤوس مطران الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا. وقد أجمع معهم القمص صرابامون رئيس دير البراموس ، والقمص مكسيموس رئيس دير السريان ، والقمص يوحنا رئيس دير الأنبا بيشوى وبعد الصلاة والتداول قرروا مايلى :

1-جاء بالمجموع الصفوى نقلاً عن مجمع نيقية ص 47 من الطبعة الثانية فى باب الأساقفة "فإن عرضت للأسقف عله تطرده عن بلده حتى لا يجد بدأً من التحول عنها، فهو حينئذ معذور وليوجه إلى بلدة إخرى إذا عُلِم منه عفه وحسن سياسة ودين ما لا يُعير لذلك، وإن استحق لينتقل إلى ما هو أرفع لأنه ليس يهواه تحول عن موضعه".

2-إنه سبق أن كان للأنبا بطرس الجاولى التاسع بعد المئة فى عداد البطاركة معيناً مطراناً على الحبشة، ولما خلا كرسي البطريركية وقع عليه الإختيار ورقى للرتبة البطريركية.

3-إنه سبق أن رسم للأنبا كيرلس الرابع العاشر بعد المئة مطراناً على القاهرة ونائباً بطريركياً،

وبعد رسامته مطراناً بسنة وشهرين رقى بطريكاً.
4- أن جميع الكنائس الطقسية تحتم إنتخاب البطريرك من بين الأساقفة.

نلاحظ فيما يتعلق باجتماع المجمع المقدس عام 1928 الآتى:

1- أن هذا المجمع عُقد تحت ظروف خاصة وهى رغبة الملك فؤاد أن يتولى الأنبا يوانس البطريركية لمواقفه الوطنية ولضمان عدم وصول مرشح لكرسى البطريركية يميل للإنجليز ولقد تجاوب أعضاء المجمع المقدس مع رغبة الملك وأرادوا أن يقدموا غطاءً قانونياً كنسياً لتحقيق هذه الرغبة. مثلما تجاوب المجلس اللى أيضاً كما سنرى فيما بعد مع رغبة الملك وأعلنوا أنهم لن يضعوا لائحة لإختيار البطريرك بل تركوا هذا للحكومة. مما أتاح للملك أن يرتب لائحة خاصة تأتى بالأنبا يوانس حتى أنه حصر حق الانتخاب فى فئات معينة، ومن جهة مجموعة الأعيان الذين لهم الحق فى الانتخاب وصُدر الأمر الملكى بأسمائهم وليس بعددهم كما سنرى فيما بعد.

2- أن أعضاء المجمع المقدس كانوا تحت ضغط أن يحققوا رغبة الملك بسرعة فوافقوا المجلس الملى على عدم وضع لائحة لإختيار البطريرك وأكتفوا فقط أن يقدموا تبرير قانونى كنسى لإختيار البطريرك لذلك خلا قرار المجمع من أى شروط أخرى كما لم يذكر شئ عن وضع لائحة لأختيار البطريرك.

3- أستند المجمع المقدس فى سماحه لترشيح مطارنة وأساقفة الإيبارشيات لنص قانون فى المجموع الصفوى منسوب خطأ لمجمع نيقية وهو فى الحقيقة ترجمة أخرى أو تفسير لقانون الرسل رقم 14 الذى يجيز الإستثناء لنقل أسقف من إيبارشية إلى أخرى ونلاحظ النص الذى أعتمد عليه أباء مجمع 1928 يتحدث عن أسقف تعرض للطرده من بلده ولا يجد مكان يذهب إليه فلذلك اعتبره القانون أنه معذور فى ترك إيبارشيته خاصة إن كان شخص مشهوداً له بالعفاف وحسن التدبير لذلك ذكر القانون أنه ينبغي "لا يعير لذلك" أى لا يلام على طرده من إيبارشيته وأجاز أن ينقل إلى مكان أفضل لأنه ليس برغبته ترك مكانه بل أجبر على ذلك". وواضح أن هذا النص يختلف عن النص المترجم من اللغة اليونانية لقانون الرسل رقم 14 ولكن يحمل المعنى إنه يمكن أن يكون هناك إستثناء للقاعدة التى تقضى بعدم قانونية نقل أسقف من إيبارشية إلى أخرى.

هذا القانون الذى أستند إليه أباء مجمع 1928 لا ينطبق على الأنبا يوانس لأنه لم يكن مطروداً من إيبارشيته. كما أنه عندما نصب بطريكاً لم يترك إيبارشية البحيرة والمنوفية بل إضيفت إليه مسؤوليات البطريرك. ونود أن نؤكد أن عنصر السرعة أدى إلى أخطاء عديدة وقع فيها أباء مجمع 1928 أولها أن القانون الذى أعتمدوا عليه لا ينطبق على وضع الأنبا يوانس. كما أنهم عندما فاز الأنبا يوانس بمنصب البطريركية لم يعرف أباء المجمع المقدس ماذا يفعلون لأنه كان موقف جديد فى تاريخ الكنيسة أن يقام مطران إيبارشية بطريكاً لذلك وقعوا فى خطأ كنسى كبير أنهم قاموا بسلامة الأنبا يوانس أسقفاً للأسكندرية ووضعوا عليه الأيادى مستخدمين نفس الطقس لسلامة البطريرك فى حالة أن المرشح راهباً.

4- ذكر أباء مجمع 1928 مثالين لمطارنة أقيموا بطاركة هما البابا بطرس الجاولى والبابا كيرلس الرابع وهذا لا ينطبق على مطارنة الإيبارشيات لأنه معروف تاريخياً الآتى:

أ- فى حالة البابا بطرس الجاولى يذكر كاتب سيرته أن البابا مرقس الثامن أستقدمه من الدير ليرسمه مطران على الحبشة ولكن الرسامة تأجلت ومن ثم أتخذة البابا سكرتيراً له. ثم قام البابا مرقس الثامن برسامة راهب آخر مطراناً للحبشة وهو الأنبا مكاريوس أما القمص مرقوريوس الجاولى فرسمه مطراناً عاماً بأسم الأنبا تاؤفيلس ليساعده فى أمور البطريركية وأستمر الأنبا تاؤفيلس مطراناً عاماً مدة سنة أشهر ثم بعد إنتقال البابا مرقس الثامن فى 21 ديسمبر 1809 أجمع مجمع مقدس مع كبار الأراخنة وأستقر الرأى على أختيار الأنبا تاؤفيلس فاقم بطريكاً بأسم البابا بطرس الجاولى يوم 24 ديسمبر 1809 أى فى اليوم الثالث لنياحة

البابا مرقس الثامن.

ب-أما في حالة البابا كيرلس الرابع فقد أختير للبطريركية بعد نياحة البابا بطرس الجاولى وتم عمل تزكية له بأسم القمص داود ليكون بطريركاً على الكرسي المرقسى ووقع على التزكية أساقفة المجمع المقدس. ولكن الخديوى عباس الأول لم يوافق على إقامة بطريرك حيث ادعى المنجمين أن تعيين البطريرك يكون شؤماً على أمير البلاد. فأستقر الرأى على إقامة القمص داود مطراناً عاماً بأسم الأنبا كيرلس وقد تم ذلك فى 17 أبريل 1853. وصدر أمر الخديوى بتعيين الأنبا كيرلس مطراناً على طائفة الأقباط وكان الأنبا كيرلس يقوم بكل أعمال البطريرك وهو يحمل لقب مطران عام. ثم بعد سنة وشهرين تمت إقامته بطريركاً بأسم البابا كيرلس الرابع.

إذن فى الحالتين المذكورتين لم يكن البابا بطرس الجاولى أو البابا كيرلس الرابع مطران إيباشية ثم نقل منها بل كان كل منهما مطراناً عاماً فلا تنطبق عليهما القوانين الخاصة بنقل أسقف إيباشية إلى أخرى. وواضح أن هذين المثالين لا ينطبقا أيضاً على حالة الأنبا يوانس الذى كان مطراناً للبحيرة ثم أضيفت إليه المنوفية.

5-عندما ذكر المجمع المقدس أن جميع الكنائس الطقسية تحتم انتخاب البطريرك من بين الأساقفة نسي الأباء ما حدث فى القرن الثامن فى الكرسي الأنطاكى من رفض لتولى الأنبا اسحق أسقف حاران الكرسي الأنطاكى مما أدى إلى إستشهاد اثنين من الأساقفة وأن رفض البابا خائيل الـ46 قبول الأنبا اسحق كبطريرك لأنطاكية أعتد أن مطارنة الكرسي الأنطاكى فى عهد البطريرك يوحنا الأنطاكى كتبوا إليه أن كل من يجلس بعده من المطارنة على سدة البطريركية الأنطاكية يكون محروماً كما ذكر البابا خائيل فى رسالته. فالتقليد الكنسى الأصيل فى الكنائس الطقسية مثل كنيسة أنطاكية وباقي الكنائس هو عدم جلوس مطارنة وأساقفة الكراسى على كرسي البطريركية وما يحدث حالياً هو خروج عن هذا التقليد فى هذه الكنائس.

6-أباء مجمع 1928 لم يناقشوا قرارات المجمع المقدس فى عهد البابا خائيل فى القرن الثامن وأيضاً قرارات المجمع المقدس عام 1873 لم يردوا على الأسباب التى ذكرها آباء هذه المجمع. كما لم يقدموا شرحاً واضحاً لسبب كسر تقليد كنسى أستقر فى الكنيسة عشرين قرن وحافظ عليه آباء الكنيسة وأستشهد البعض دفاعاً عنه ووضعوا حرومات لمن يخالف هذا التقليد المدعم بقوانين أصدرها الأباء الرسل والمجمع المسكونية والمكانية. عذر آباء مجمع 1928 أنهم لم يجتمعوا لمناقشة مدى قانونية أن يجلس مطارنة وأساقفة الإيباشيات على الكرسي المرقسى بل اجتمعوا لإيجاد غطاء قانونى كنسى لتحقيق رغبة الملك فؤاد لذلك ينبغى أن تقرأ قرارات هذا المجمع من خلال الظروف التى أقيم فيها ولا نعتبر أن قرارات مجمع 1928 الغت القرارات السابقة لأنها ببساطة لم تدرس هذه القرارات السابقة ولذلك لم تقدم بحث قانونى قوى مثلما فعل آباء المجمع برئاسة البابا خائيل الذين كانوا مستعدين للإستشهاد للدفاع عن قوانين الكنيسة أو آباء مجمع 1873 الذين قدموا بحثاً قانونياً قوياً مدعماً بآيات الكتاب المقدس وقوانين الكنيسة وتاريخها لدعم قراراتهم.

ولنتابع الأحداث بعد قرار المجمع المقدس، أجمع المجلس الملى وقرر إرجاء التصديق على نظام ترشيح وانتخاب البطريرك فى هذه الدفعة فقط ورجا من الحكومة بما له من الثقة بها أن يرعى فى الناخبين وفى المرشحين للكرسي البطريركى ما يقتضيه قانون الكنيسة وتقاليدها وما يتفق ورغبات الشعب. هكذا ترك كل من المجمع المقدس والمجلس الملى أمر وضع نظام اختيار البطريرك للحكومة ليعطى الملك فؤاد الحرية أن يضع النظام الذى يضمن له تحقيق رغبته فى أن يتولى الكرسي البطريركى الأنبا يوانس.

فى أول ديسمبر 1928 أصدر الملك فؤاد الأمر الملكى رقم 84 لسنة 1928 وهذا نصه "نحن فؤاد الأول ملك مصر: بعد الاطلاع على أوامرنا الصادرة فى 16 ديسمبر 1927، 18 يونيو، 16 أغسطس، 15 سبتمبر 1928 بتعيين نائب لبطريرك الأقباط الأرثوذكس بمدد مختلفة، ونظراً لوجوب الإسراع فى انتخاب البطريرك دون انتظار النظام الذى أشارت إليه الأوامر المتقدم ذكرها خاصة بترشيح وانتخاب البطريرك كلما خلا كرسي البطريركية أمرنا بما هو آت:

مادة 1: تقوم بانتخاب البطريرك جمعية مؤلفة من:

أولاً: جميع المطارنة والأساقفة ورؤساء الأديرة.

ثانياً: أعضاء ونواب المجلس الملى العام.

ثالثاً: أعضاء الطائفة الآتية أسمائهم (وقد بلغ عددهم 48 شخصاً).

(أنظر نص القرار الملكي بالكامل كما نشرته مجلة الكرمة عام 1929)

مادة 2: يحدد لانتخاب البطريرك يوم الجمعة 7 ديسمبر 1928 ابتداء من الساعة التاسعة صباحاً في دار البطريركية.

مادة 3: يرأس الجمعية المذكورة النائب عن البطريرك، وإلا فاقدم المطارنة الحاضرين ويساعد رئيس الجمعية في عملية الانتخاب لجنة مكونة من أربعة من الناخبين ؛ أثنان يختارهما رجال الدين من أعضاء الجمعية وأثنان يختارهما الأعضاء الآخرون وقت افتتاح الجلسة، وتحرر هذه اللجنة محضراً بما يحصل.

مادة 4: يكون الانتخاب بطريق الإقتراع السرى، ولا يجوز للناخب أن يعطى صوته لأكثر من واحد.

مادة 5: لا يكون انعقاد الجمعية صحيحاً إلا إذا حضرها أكثر من نصف الناخبين، فإذا لم يتوفر هذا العدد يؤجل الانتخاب ليوم الإثنين 10 ديسمبر 1928 ويكون الأجمع صحيحاً أى كان عدد الحاضرين.

مادة 6: يعتبر منتخباً قانونياً من ينال الأغلبية المطلقة للأصوات المعطاه.

فإذا لم يحز أحد الأغلبية المطلقة المذكورة يعاد الانتخاب بعد أسبوع بنفس الطريقة المبينة في المادتين الثالثة والرابعة. وعند تساوى الأصوات بين اثنين أو أكثر تعمل القرعة بينهم. وبعد فرز الأصوات بمعرفة اللجنة المبينة في المادة الثالثة من أمرنا هذا يعلن رئيس الجمعية للناخبين الحاضرين نتيجة الانتخاب ويثبتها في المحضر.

مادة 7: عند نهاية الانتخاب تبلغ نتيجته مصحوبة بصورة من محضر الانتخاب مصدق عليها بأنها طبق الأصل إلى الحكومة لأستصدار أمر ملكي بتعيين البطريرك.

مادة 8: على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ أمرنا هذا ويعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية. صدر بسرأى المنتزة في 16 جمادى الثاني سنة 1347 هجرية (أول ديسمبر 1928)

فؤاد الأول

ملك مصر

حصر الأمر الملكي الذين لهم الحق في الانتخاب فبلغ عددهم 96 ذهب منهم يوم الانتخاب 85 وأجريت الانتخابات فحصل الأتبا يؤانس على سبعين صوتاً والقمص يوحنا سلامة على تسعة أصوات والقمص حنانيا الأنطونى على صوتين وحبيب جرجس على صوتين. ووجدت بين الأوراق واحدة تحمل أسم مطران كرسى سوهاج وواحدة بيضاء. أجريت الانتخابات كما حدد الأمر الملكي يوم 7 ديسمبر 1928 أى بعد أسبوع من تاريخ صدور الأمر الملكي وأبلغت النتيجة فوراً إلى السراى الملكية فصدر الأمر الملكي بتعيين الأتبا يؤانس مطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية بطريركاً للأقباط الأرثوذكس. وتمت إقامة الأتبا يؤانس بطريركاً صباح الأحد 16 ديسمبر 1928.

نلاحظ الآتى:

1- عامل الاستعجال فالمجمع المقدس أصدر قراره في 18 يوليو 1928 ثم أعقبه المجلس الملى ثم صدر الأمر الملكي بنظام اختيار البطريرك في أول ديسمبر 1928 وأجريت الانتخابات في 7 ديسمبر 1928 وصدر القرار الملكي بتعيين الأتبا يؤانس فى نفس اليوم وأقيم الأتبا يؤانس بطريركاً يوم 16 ديسمبر 1928.

2- الأمر الملكي ذكر عنصر الاستعجال بقوله "نظراً لوجوب الإسراع فى انتخاب البطريرك دون انتظار إقرار النظام الذى أشارت إليه الأوامر المتقدم ذكرها خاصةً بترشيح وانتخاب البطريرك كلما خلا كرسى البطريركية".

3- تخلى المجمع المقدس والمجلس الملى عن حقوقهم فى وضع لائحة انتخاب البطريرك وتفويض الملك وحكومته فى وضع اللائحة وهذه سابقة خطيرة أن تترك الكنيسة ممثلة فى مجمعها المقدس ومجلسها الملى

أمر نظام اختيار البطريرك للحكومة.

4- أستغل الملك وحكومته هذا الإستسلام من جانب الكنيسة فوضع لائحة مفصلة لتحقيق رغبته حتى أن البند الخاص بالذين لهم الحق من أعضاء الطائفة لم يكتفى الأمر الملكى بتحديد عددهم بل ذكر أسمائهم وهذه سابقة خطيرة أيضاً أن تصدر لائحة بالأسماء. ولا يخفى على القارئ الهدف من اختيار أسماء بعينها.

5- لم يهتم الأمر الملكى بذكر من لهم حق الترشح للبطريركية كما لم يحدد لجنة لتلقى الترشيحات أو الطعون بل ترك الأمر للناخبين أن يختار كل منهم من يراه وأعطى الحق لكل ناخب أن يكتب أسم واحد فقط. لذلك جاءت النتيجة تضم مجموعة متنوعة شملت الأنبا يوانس والقمص حنانيا الأنطوني والقمص يوحنا سلامة وحبيب جرجس ومطران سوهاج وورقة بيضاء.

6- لم يدرس المجمع المقدس كيفية إقامة مطران إيباشية على كرسي البطريركية لذلك وقع في خطأ طقسى كبير أن استخدام طقس إقامة البطريرك عندما يكون المرشح راهباً حتى رتبة قمص وأقاموا الأنبا يوانس. فتم وضع اليد عليه مرتين وأقيم أسقفاً على الأسكندرية وهذا لايجوز قانونياً ولا كنسياً. كما أن الأنبا يوانس ظل كما هو مطراناً على البحيرة والمنوفية. فالمجمع المقدس لم يطبق عليه القانون الذى أستند عليه في قراره في جلسة المجمع يوم 18 يوليو 1928 الخاص بنقل أسقف الإيباشية وواضح أن سبب هذه الأخطاء المتعددة أن الكنيسة ممثلة في مجمعها المقدس ومجلسها الملى كانت تسعى لتحقيق رغبة الملك فؤاد في إقامة الأنبا يوانس وإقامته بسرع خوفاً من أن تأتي الانتخابات بشخص يميل للتودد للإنجليز كما كان يعتقد الملك فؤاد.

قداسة الأنبا يوانس كان يمكنه أن يرفض هذا كله وخاصةً أنه كان القائم مقام البطريرك وسكرتير المجمع المقدس ولكنه قبل البطريركية رغم كل هذه الأخطاء القانونية والطقسية لذلك فلم يكن عجباً أن يذكر لنا التاريخ أنه بعد أن هدأت الأمور وجلس البابا يوانس على الكرسي البابوي تبعه ضميره الحى وبدأ يشعر بالندم والأسى لقبوله منصب البطريركية إذ شعر أنه خالف القوانين الكنسية وكثرت هذه الأفكار التي كانت تهاجمه بشدة وعنف بدأ يحلم أحلاماً تزعجه حتى أنه طلب الأباء الكهنة أن يقيموا له صلاة القديس حتى تستريح نفسه.

بعد نياحة البابا يوانس التاسع عشر في 21 يونيو 1942 بعد أن جلس على الكرسي المرقسى 13 سنة وستة شهور وكان قد بلغ من العمر حوالى 93 سنة عاد الحوار حول قانونية اختيار مطارنة الإيباشيات لكرسي البطريركية وكتب خمسة من المطارنة ثلاثة منهم اشتركوا في سيامة الأنبا يوانس بطريرك وأنثنى منهم رسمهم البابا يوانس كتبوا بيان أعلنوا فيه رفضهم أن يقام مطران إيباشية بطريركاً. مما يدل على مجمع 1928 لم يحسم هذا الموضوع بل من بين الذين أشتركوا في المجمع أعلنوا رفضهم للمبدأ فيما بعد مما يؤكد الظروف الخاصة التي أجبرت أباء مجمع 1928 على اتخاذ قرارهم الذي قاد إلى الأحداث المأساوية التي عانت منها الكنيسة في مدة ثلاثين سنة

2- سقوط الجبارة:

حياة البابا مكاريوس الثالث البابا ال114 (1944-1945) تقدم لنا درساً عملياً عن خطورة اختيار البطريرك من بين مطارنة وأساقفة الإيباشيات. فهذا الرجل العظيم الذى ترهين في دير الأنبا بيشوى وعمره 17 سنة وعاش حياة رهبانية فاضلة وحاز على ثقة البابا كيرلس الخامس فأختره سكرتيراً له ورسمه قمصاً في أول سبتمبر 1896 وله من العمر 24 سنة ثم رسمه مطراناً على أسيوط في 12 يوليو 1897 عمره 25 سنة. وكانت له خدمة ناجحة جداً في أسيوط حيث جمع شمل الأقباط وقدم لهم بحق مثال للورع والقداسة وكان رجلاً طقسياً يحافظ على طقوس الكنيسة وقوانينها وكان رجلاً وطنياً أستطاع بحكمته أن يقود مؤتمر الأقباط بأسيوط عام 1911 الذى عُقد بعد اغتيال رئيس الوزراء بطرس باشا غالى إلى بر الأمان. كان رجلاً مستتيراً إصلاحياً يجيد اللغة الفرنسية ويتكلمها مثل أبنائها ذو ثقافة واسعة. هذا الجبار الذى عاش

حياة مثمرة مدة 72 سنة كان موضع إحترام وتقدير الجميع هذا الجبار أضع كل هذا عندما قبل الترشح للبطريركية وتحالف مع أعضاء المجلس الملى بقيادة المنيأوى باشا ليفوز بالمنصب وفاز بالمنصب ولكنه خسر كل شئ. إصطدم بالمجلس الملى الذى ناصره للفوز بالبطريركية وإصطدم بالمجمع المقدس الذى عقد اجتماعاً رأسه الأنبا بطرس مطران أخميم وسوهاج فى 22 مايو 1944 أستتکروا فيه تصرفات البطريرك البابا مكارىوس. وهى سابقة أن يجتمع المجمع المقدس بدون البطريرك ليدين تصرفات البطريرك فى بيان عام يعلنه على الشعب. وأنتهى الأمر بالبابا مكارىوس أن ترك البطريركية فى 7 سبتمبر 1944 وذهب إلى دير الأنبا بولا حيث وجد أنه غير قادر على إدارة شئون البطريركية. ثم عاد للبطريركية فى 23 ديسمبر 1944 بعد تدخل أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء ولكنه عاش حزيناً نادماً على قبوله البطريركية حتى تتيح يوم 31 أغسطس 1945 بعد أن قضى على الكرسي سنة وستة أشهر وثمانية عشر يوماً كانت كلها متاعب والالام. كان يمكن للبابا مكارىوس أن يدخل التاريخ كأحد المطارنة العظماء لمطارنة أسيوط ولكنه أختار أن يدخل التاريخ كأحد البطاركة الذين لم يستطيعوا أن ينجزوا شئ إلا الندم والحزن على قبولهم كسر قوانين الكنيسة. ولكن كيف سقط هذا الجبار العظيم؟

+بعد نياحة مثلث الرحمات البابا يوانس التاسع عشر فى 21 يونيو 1942. أتفق المجمع المقدس والمجلس الملى على إختيار الأنبا يوساب مطران جرجا ليكون قائم مقام البطريرك.
+أعد المجمع المقدس والمجلس الملى لائحة ترشيح وإنتخاب البطريرك وصدر بها أمر ملكى من الملك فاروق الأول عام 1942. هذه اللائحة وضعت فى المادة الثانية شرط من يتولى الكرسي البطريركى "أن يكون من طغمة الرهينة المتبتلين الذين لم يسبق لهم الزواج، وأن تتوافر فيه جميع الشروط المقررة فى القوانين والقواعد والتقاليد الكنسية".

هذه المادة أثارت نقاشات حادة وحوارات متعددة حول تفسيرها فالبعض فسرها أنها تمنع ترشيح مطارنة وأساقفة الإبيارشيات لأنها تذكر فى شرط المرشح أن يكون من طغمة الرهينة المتبتلين الذين لم يسبق لهم الزواج ولم تنص على ذكر المطارنة والأساقفة. والبعض الآخر فسّر عبارة "من طغمة الرهينة المتبتلين الذين لم يسبق لهم الزواج" أنها تشمل المطارنة والأساقفة لأنهم يختاروا من بين الرهيان. من جهة المجمع المقدس أصدر خمسة من المطارنة هم الأنبا إبرام مطران البلينا والأنبا بطرس مطران سوهاج وأخميم والأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والأنبا أغابىوس مطران صنوبو وديروط وقسقام ورئيس الدير المحرق والأنبا ساويرس مطران المنيا والأشمونين. أصدروا بياناً أعلنوا فيه رفضهم القاطع لترشح مطارنة وأساقفة الإبيارشيات. ويعتبر هذا البيان وثيقة تاريخية لأنه قدم شرح مستفيض لأسباب رفض ترشيح المطارنة للكرسي البطريركى ويسعدنى أن أرفق نص هذا البيان مع هذا البحث ولكنى أود أن ألقى الضوء على النقاط الآتية بخصوص هذا البيان:

1-إن المطارنة الخمسة الذين أصدروا البيان منهم ثلاثة مطارنة (الأنبا إبرام 1921-1942، والأنبا بطرس 1920-1951، والأنبا أثناسيوس 1925-1962) من سيامات البابا كيرلس الخامس أى عاصروا أحداث إختيار البابا يوانس التاسع عشر وفترة بطريركيته أما الأنبا أغابىوس (سيم أسقفاً فى 1929) والأنبا ساويرس (سيم أسقفاً 1930) أى فى عهد البابا يوانس التاسع عشر.

2-أكد البيان على أن بعض الأباء والمطارنة يصدرن قراراً بقصر الترشيح البطريركى على الرهيان دون المطارنة. ثم أشار إلى كثير من أبناء الشعب يعقدون لقاءات ويؤيدون هذا الرأى. ثم أشار البيان بطريقة غير مباشرة لبعض المطارنة الذين يخالفوا هذا الرأى قائلاً "أليس من المحزن حقاً أن نرى الأبناء- أكثر تمسكاً من بعض الأباء وهم قادة الكنيسة والذين يحافظون عليها والساھرون على تنفيذ مبادئها- ولكن ما الحيلة فى قلب الأوضاع.

3-يؤكد البيان حقيقة هامة وبخصوص قرار مجمع 1928 وخاصةً أن ثلاثة من المطارنة الموقعين للبيان كانوا شركاء فى هذه الأحداث وهى أن ما حدث فى قبول ترشيح الأنبا يوانس التاسع عشر كان لأمر قهرياً. وهى كما نعرف رغبة الملك فؤاد فيقول البيان "أسألو هؤلاء الأباء (المطارنة) ومؤيديهم من الأبناء والذين جلسوا على عرش مارمرقس وكم منهم كان من بين حضرات المطارنة؟ هى مسألة حسابية بسيطة.

بلغ عدد البطاركة مائة وثلاثة عشر بطريركاً ولم يكن منهم مطراناً بالمعنى الصحيح المعروف سوى غبطة البطريرك الراحل الأنبا يوانس ولم يرتق هذا الكرسي إلا لأمر قهرية خارجة عن إرادة الكنيسة. أريد هؤلاء القوم أن يقيموا من الشاذ قاعدة لهم.

4-يشير الأباء المطارنة الخمسة إلى اقتراح قديم للمجمع المقدس قائلين "وما أجمل الاقتراح الذى تقدم به أحد الأباء الأجلاء فى دورة المجمع المقدس الماضية يطلب حفظاً وصوناً لوحدة الكنيسة أن ينسحب الأباء المطارنة من عملية ترشيح أنفسهم".

نفس هذا الاقتراح تقدم به أحد الأباء الأساقفة للمجمع المقدس فى الوقت الحالى ولكن يبدو أن مصير الاقتراح الذى قُدم عام 1942 لقي نفس مصير الاقتراح الذى قُدم فى 2012.

5-يختم الأباء المطارنة الخمسة بيانهم قائلين:

"لنا كلمة ختامية نوجهها إلى حضرات المؤيدين للمطارنة : ما هو امتياز المطارنة عن الأباء الرهبان؟ وإذا ما وجه هذا السؤال نسمع جواباً واحداً وهو الخبرة والدراية والمران. إنها لأمر محزنة تؤلم النفس وتفزع الروح، أى مصدر هو مصدر هذه الخبرة والدراية والمران؟

إذا كان مصدر عالمى فهي خبرة كاذبة ودراية خادعة ومران باطل لأنه كما يقول الرسول "حكمة هذا العالم جهالة وأختار الله الجهلاء ليخزي بهم الحكماء" أختار سيدنا تلاميذه من البسطاء وحاملى منارة الدين لأنه يقول وبصير الجميع متعلمين من الله. وأما إذا كان مصدر هذه الخبرة والدراية والمران عمل الروح القدس فليتر كوا الروح يعمل فى غيرهم كما عمل فيهم اللهم إلا إذا كانوا ينكرون على الكنيسة عمل الروح فيها وقد وعد أن يكون معهم كل الأيام حتى إنقضاء الدهر.

فبروح المحبة المسيحية نوجه نظر من يهتمهم الأمر إلا يختاروا البطريرك إلا من الأباء الرهبان ولا يؤيدوا سواهم وخصوصاً بعد ما ثبت لأعضاء المجلس الملى العام الذين شرفوا الأديرة صلاحية هؤلاء الرهبان واستعدادهم الكافى".

بخصوص المجلس الملى فقد أنقسم على فريقين فريق يقوده حبيب المصرى باشا وكيل المجلس وهو يريد اختيار البطريرك من بين الرهبان فقط وفريق آخر يقوده المنياوى باشا وهو يؤيد اختيار المطارنة وصار يؤيد ترشيح الأنبا مكاريوس مطران أسيوط.

+تحدد يوم الجمعة 4 فبراير 1944 لإجراء انتخابات البطريرك خلفاً للبابا يوانس التاسع عشر وكان أسماء المرشحين كالتالى : أربعة مطارنة هم الأنبا مكاريوس مطران أسيوط والأنبا يوساب مطران جرجا والقائم مقام والأنبا ثاوفيلس مطران القدس والأنبا ابرام مطران الجيزة وأثنين من الرهبان هما القمص أنثاسيوس المحرقى والقمص فرنسيس البراموسى. وفاز الأنبا مكاريوس بأغلبية ساحقة وتم تنصيبه بطريركاً يوم الأحد 13 فبراير 1944 وله من العمر 72 سنة.

+أستقبل الشعب القبطى اختيار البابا مكاريوس الثالث بالفرح لما كان يتمتع به من مكانة رفيعة وسمعة طيبة. فى الجلسة الأولى للمجلس الملى التى انعقدت يوم الثلاثاء 15 فبراير 1944 تحت رئاسة البابا مكاريوس وقدم له الجميع التهنئة والقى حبيب المصرى وكيل المجلس الذى كان يقود الرأى فى قصر الترشيح على الرهبان كلمة تهنئة للبابا الجديد عبر فيه عما يخالج النفوس من آمال تحت رعايته.

والجدير بالذكر أن البابا مكاريوس كانت تربطه بحبيب المصرى باشا وأسرته علاقة طيبة لسنوات طويلة فكان يحرص عند حضوره للقاهرة للاتصال به أو زيارته وكذلك كان حبيب المصرى باشا عندما يزور هو أو أى من أفراد أسرته أسيوط يحرصون على أخذ بركة الأنبا مكاريوس. كما تذكر المؤرخة ايريس حبيب المصرى عن والدها حبيب المصرى باشا "إن للأنبا مكاريوس مكانة خاصة فى قلب والدها لأنه نشأ تحت رعايته منذ صباه فكانت المحبة الوثيقة متبادلة بينهما وانتقلت هذه المحبة الدافقة من حبيب إلى عائلته وتذكر

المؤرخة ايريس المصرى قصة حدثت أثناء فترة الترشيح للبطريركية حيث كان الأنبا مكاريوس مرشحاً وحبيب المصرى معارضاً لترشيح المطارنة أن الأنبا مكاريوس جاء لزيارة حبيب المصرى فى بيته وعاتبه قائلاً "تبقى أنت أبنى من طفولتك وساعة ترشيحى غيرى؟! أجابه حبيب المصرى "أنت تعرف تماماً يابى المبجل مقدار حبى وإجلالى لك. ولكن ولائى للكنيسة يفوق ولائى لأى شخص حتى لو كان شخصك

الوقور. ولو كان القانون الكنسى الأصيل يبيح انتخاب المطارنة لكنت أول من تحمس لك". قال له الأنبا مكاريوس "لكن الشعب عايزنى". فرد حبيب المصرى "أنت قائد للشعب ومرشده ومعلمه وكنت أتوقع من نيافتك حين يطلب الشعب ترشيح نفسك أن تقول: لا يا أولادى لقد نلت كرامتى الخاصة من رب الكنيسة. والراهب هو صاحب الحق فى هذه الكرامة التى تريدونها لى فأصحكم بانتخاب فلان". وهنا تختم ايريس المصرى القصة ذاكرة "فأدت هذه الكلمات إلى قيام جفوة وقتية بين المطران الوقور وأبنة الروحى".

+تتابعت الأحداث بعد تنصيب البابا مكاريوس الثالث. بالنسبة للمجلس الملى أجبر المنياوى باشا حبيب المصرى على الإستقالة بحجة أن الذى كان معارضاً لأختيار الأنبا مكاريوس البابا الجديد عليه الاستقالة حتى يتيح للذين ناصروه أن يتولون المسؤولية. فقدم حبيب المصرى استقالته وقبلها البابا مكاريوس وصار المنياوى باشا وكبلاً للمجلس الملى.

+كانت الأطيان والعقارات الموقوفة على البطريركية والأديرة مشكلة معقدة بين المطارنة والمجلس الملى منذ إنشائه عام 1883 لأن أعضاء المجلس الملى كانوا يرون أنهم الأجدر بادارة هذه الأوقاف بينما رفض المطارنة ورؤساء الأديرة تسليمها لهم.

كان للأنبا مكاريوس وهو مطران أسيوط موقف مؤيد للمجلس الملى بل أتفق مع نيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقف منفوط على التنازل عن الأوقاف للمجلس الملى كل فى أسقفيته عام 1920، 1926. وعندما تولى البابا مكاريوس البطريركية طالبه المنياوى باشا بأن يسلمه الأوقاف فوافق وأصدر قراراً بدون الرجوع للمجمع المقدس فى 22 فبراير 1944 قال فيه "تنشأ إدارة خاصة لأوقاف الأديرة بالدار البابوية يديرها المجلس الملى العام تكون مهمتها جرد أموال الأديرة فوراً، ومحاسبة النظار الحاليين الذين يتولون ادارتها. وأن يكون تعين وإقالة النظار بمعرفتنا بناء على مقترحاتكم". اثار هذا القرار غضب أعضاء المجمع المقدس فاجتمع المجمع المقدس برئاسة الأنبا بطرس مطران سوهاج -لأن البابا رفض حضور الاجتماع- يومى 16، 22 مايو 1944 وأصدروا بياناً للشعب أوضحوا فيه سلطة المجمع المقدس والأخطاء التى وقع فيها البابا مكاريوس وايضاً أخطاء المجلس الملى وأعلنوا رفضهم لقرار البابا بخصوص تسليم الأوقاف للمجلس الملى.

+أصطدم المجلس الملى بقيادة المنياوى باشا بالبابا مكاريوس بخصوص الأكليريكية وايضاً لتردده فى تنفيذ قراره بتسليم الأوقاف بعد البيان الذى أصدره المجمع المقدس. ووصل الأمر أن المجلس الملى رفع قضية ضد البابا مكاريوس وأرسلوا إليه دعوى على يد محضر.

+وجد البابا مكاريوس نفسه فى موقف صعب ما بين المجمع المقدس والمجلس الملى ووجد نفسه غير قادر على ادارة أمور البطريركية فترك البطريركية وذهب إلى دير الأنبا بولا فى سبتمبر 1944 وظل هناك حتى ديسمبر 1944 عندما عاد إلى البطريركية يتوسط رئيس الوزراء أحمد ماهر باشا.

+قضى البابا مكاريوس أيامه حزيناً نادماً على قبوله البطريركية وغير قادر على تحقيق الإصلاح المنشود الذى نادى به وأنتهى به الأمر أن تتيح بسلام يوم 31 أغسطس 1945 بعد أن قضى على الكرسي المرقسى سنة وشهراً وثمانية عشر يوماً كانت كلها مليئة بالمتاعب والأحزان ولم يرسم فى هذه المدة القصيرة أحداً من الأساقفة.

3-الهبوط الى القاع:

مع بداية نهضة مصر الحديثة بقيادة محمد على بدأ الكرسي المرقسى يأخذ مكانه خاصة بفضل الأباء البطارقة الذين أنعم الله بهم على الكرسي المرقسى بدءاً من البابا مرقس الثامن البابا ال108 (1796-1809) الذى شهد الحملة الفرنسية وما فيها ثم بداية حكم محمد على ثم البابا بطرس الجاولى البابا ال109 (1810-1852) الذى أهتم اهتماماً كبيراً برعاية شعبه وكانت له مواقفه الوطنية ضد الحماية الأجنبية مثلما حدث فى لقاءه مع قنصل روسيا القيصرية ثم البابا كيرلس الرابع البابا ال110 (1803-1861) الذى أستحق لقب أب الإصلاح ثم البابا ديمتريوس الثانى البابا ال111 (1862-1870) كل هؤلاء البطارقة كانوا من الرهبان الأتقياء الذين عملت فيهم نعمة الله فأثمرت ثمرات كثيرة. وحدث بعد

نياحة البابا ديمتريوس الثاني أن حاول البعض تغيير التقليد الكنسى ورسم وإقامة الأنبا مرقس القام مقام مطران البحيرة بطريركاً لأسباب شرحناها سابقاً وكيف تصدى لهم الأنبا باسيليوس مطران القدس وعُقد مجمع 1873 الذى حافظ على التقليد الكنسى. فكانت الثمرة المباركة اختيار البابا كيرلس الخامس البابا ال112 (1804-1927) الذى أنعم الله عليه بالعمر الطويل فجلس على الكرسي المرقسى ما يقرب من 53 سنة وأحدث نهضة كبيرة وصار علامة فارقة فى تاريخ بطاركة الكرسي المرقسى.

فى عام 1928 حدث تغيير وبدأ طريق الانحدار التدريجى فشهدنا كيف خضع المجمع المقدس والمجلس الملى لرغبة الملك فؤاد وأقاموا الأنبا يوانس التاسع عشر مطران البحيرة بطريركاً، ثم الأحداث التى صاحبت اختيار الأنبا مكارىوس الثالث الشخصية العظيمة والمطران المهاب وكيف أن اختياره للبطريركية حول حياته إلى حياة ممثلة بالمتاعب والحزن والشعور بالندم فلم يمكث على الكرسي المرقسى إلا فترة قصيرة. رغم كل الأحداث المؤسفة التى أثرت على سير النهضة فى الكنيسة ومكانة الكرسي المرقسى إلا أن شخصية كل من البابا يوانس والبابا مكارىوس أثرت على سرعة الانحدار فلم تمنعه ولكن جعلته تدريجياً. ووصلنا فى متابعة هذا الانحدار فى حياة البابا مكارىوس الذى قام ضده المجمع المقدس واجتمع بدونه وأصدر بيان ينتقد تصرفاته وقام ضده أيضاً المجلس الملى بقيادة المنيأوى باشا ورفع ضده قضايا وأرسلت إليه دعوى على يد محضر.

بعد نياحة البابا مكارىوس الثالث فى 31 أغسطس 1945 بدأت الأحداث تتسارع وسرعة الانحدار تزداد حتى وصلنا إلى القاع. وأنى عندما أذكر هذه الأحداث لا أحكم على أحد فإله وحده الذى يحكم كما أن الكنيسة تعلمنا أن نحترم أبائنا ونجلهم مهما حدث منهم ولكننا نقيم الأحداث لنستفيد منها فالتاريخ مدرسة يستفيد منها من له الرغبة فى الاستفادة. كما أن الأحداث مهما كانت مؤسفة فهى لا تؤثر على قداسة الكنيسة فنحن نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية. ولكننا لا نؤمن بعصمة الأشخاص مهما بلغت مراكزهم. وقداسة الكنيسة مستمدة من قداسة عريسها الرب يسوع المسيح. وتتابع الأحداث وكلنا ثقة فى الله وفى رعايته للكنيسة.

بعد نياحة البابا مكارىوس الثالث فى 31 أغسطس 1940 أجمع المجمع المقدس والمجلس الملى مساء 3 سبتمبر 1940 برئاسة الأنبا يوساب مطران جرجا وتم اختيار الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا قائم مقام بالأجماع.

ترشح للكرسي المرقسى الأنبا يوساب مطران جرجا وكان يساعده المنيأوى باشا وكيل المجلس الملى. والقمص ابراهيم لوقا. ورشح مؤيدى اختيار راهب للكرسي المرقسى القمص داود المقارى. وتذكر المؤرخة ايريس المصرى أن المنيأوى باشا دبر خطة لأنجاح الأنبا يوساب بأية وسيلة. وبصفته وكيل المجلس الملى كانت ترجع إليه بطاقات الانتخاب التى ترد إلى الدار البابوية أما لانتقال أصحابها إلى الدار الباقية أو لتغير حدث فى عناوينهم فكان المنيأوى باشا يوزعها على أشخاص لا تجيز لهم لائحة الانتخاب أن يشتركوا فيها ولكنهم كانوا من أتباع المنيأوى باشا المؤيدين لترشيح الأنبا يوساب. وتقول المؤرخة ايريس المصرى "يجب أن يعرف القارئ أن مئة وثمانين بطاقة قد أعيدت ووزعت بهذه الطريقة المعيبة". ثم أن المنيأوى باشا ومن معه لم يتورعوا عن الإعراف بهذا الواقع أثناء مشاجراتهم مع الأنبا يوساب بعد أن فاز بالكرسي المرقسى. ويوم الانتخاب حدث أضراب عام فى كل وسائل المواصلات وكان للقمص ابراهيم لوقا صديق حميم فى الجيش هو الأميرالاي باسيلي صدقى، فطلب منه أن يستحضر ما يلزمهم من دوريات الجيش لنقل مؤيدى الأنبا يوساب فقط وفعلاً تم له ما يريد.

جرت الانتخابات وفاز الأنبا يوساب بأغلبية مائة وثمانين صوتاً وتم تنصيبه بطريركاً فى 26 مايو 1946 بأسم البابا يوساب الثانى فى الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية.

بعد تولى البابا يوساب الثانى الكرسي المرقسى عين القمص ابراهيم لوقا وكيلاً عاماً للبطريركية. وطلب المنيأوى باشا من البابا يوساب أن يسلم المجلس الملى إدارة الأوقاف فرفض وأصر على الرفض فقام المنيأوى باشا برفع عدة قضايا ضد البابا فى المحاكم المدنية ولكن فى كل قضية رفعها خسرها ولما أعيته الحيل سحب المنيأوى باشا أموال البطريركية المودعة فى البنك وتجاسر على إيداعها فى بنك آخر بأسمه

الخاص ولكن رُفعت قضية ضده أمام مجلس الدولة فأصدرت المحكمة حكمها لصالح البطريركية. وأستمر الصراع طويلاً بين المجلس الملى والبابا يوساب وأنقلب أصدقاء الأمس إلى أعداء ، إلا أن المأساة الكبرى فى بطريركية البابا يوساب هى خادمه ملك (كامل جرجس). هذا الخادم بدأ يخدم البابا يوساب عندما كان مطران جرجا وعندما أختير للبطريركية أحضره معه إلى القاهرة وكان يحظى بدالة قوية عند قداسة البابا. وقد أستطاع هذا الشخص أن يسيطر على البابا وقراراته فأخذ يعيث بأوضاع البطريركية فجعل كل المهام الحيوية بين يديه ومن ضمنها سيامة الأساقفة والكهنة الذى جعل لكل سيامة مبلغ معين يتقاضاه فانتشرت السيمونية. أدت تصرفات ملك إلى اضطراب أحوال البطريركية بصورة كبيرة وعمت الفوضى وأصبح ملك هو البطريرك الفعلى إذ خضع له البابا تماماً فأنفض الناس من حول البطريرك وبدأ السخط الشعبى ضده. وعندما تعددت الشكاوى ووصلت إلى المسؤولين فى الحكومة أصدرت وزارة الداخلية أمر بالقاء القبض على ملك أثناء مصاحبته للبابا يوساب فى زيارته للأسكندرية فى 29 أغسطس 1953 وتم ارساله مرغماً تحت حراسة مشددة إلى جرجا وأعتبرت حكومة الثورة هذا العمل نوعاً من التطهير التى قامت به فى أجهزة متعددة.

غضب البابا يوساب الثانى من هذا الإجراء الذى كان يثق فى ملك ثقة عمياء وأعتبر هذا مساساً بحريته الشخصية وتدخل فى شئونه الخاصة وأخذ يطالب المسؤولين بعودة ملك وبذل فى ذلك الشئ الكثير. وسمعت قصة أنه عندما زار الرئيس محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر البابا يوساب الثانى وسأله عما يطلبه للأقباط كان طلبه الأول هو عودة ملك وفعلاً عاد ملك إلى القاهرة ولكن لم يسمح له بالذهاب إلى البطريركية إلا إنه كان دائم الأتصال بالبطريرك وواصل تأثيره على غبطته حتى ازداد غضب الناس. وعندما ساءت الأحوال البطريركية حدث أمر لم يحدث فى تاريخ الكنيسة أن مجموعة من الشعب كونوا جماعة أسموها "جماعة الأمة القبطية، قاموا فى يوم 25 يوليو 1954 باقتحام البطريركية ليلاً وأقتحموا مخدع البطريرك وأرغموه تحت تهديد السلاح على توقيع وثيقة تنازل عن البطريركية ثم أقتادوه فى سيارة إلى دير مار جرجس فى مصر القديمة وعادوا وأعتصموا فى البطريركية لعدة أيام مطالبين بالإصلاح. إلا أن الشرطة قبضت عليهم وأعدت البطريرك.

إلا أن هذه الأحداث المؤسفة لم تغير شئ فظل البابا يوساب تحت سيطرة خادمه ملك وسارت الأمور من سئ إلى أسوأ. وفى عام 1955 أشار ملك على البابا يوساب أن يقوم بعزل أساقفة الأديرة وتعيين رؤساء من الرهبان حتى يستفيد مالياً من التعينات الجديدة. وفى يوم 14 أغسطس 1955 أصدر البابا يوساب الثانى قراراً بعزل الأنبا غبريال أسقف دير الأنبا أنطونيوس. لجأ الأنبا غبريال إلى المجمع المقدس فاستجاب له معظم المطارنة وعقدوا مجمعاً فى 5 سبتمبر 1955 قرروا فيه عزل البطريرك يوساب الثانى وأنضم لهم المجلس الملى. ووافقت الحكومة على قرار المجمع المقدس والمجلس الملى خاصة مع السخط الشعبى ضد البطريرك فأصدرت الحكومة قراراً فى يوم الخميس 22 سبتمبر 1955 بعزل البابا يوساب عن وظيفته واستغلت الحكومة هذه الظروف التى تمر بها الكنيسة وأصدرت مع القرار بعزل البطريرك قراراً بإلغاء المحاكم المليية. وهو أمر كانت تعارضه الكنيسة.

غادر البابا يوساب البطريركية وذهب إلى الدير المحرق. فى يوم 27 سبتمبر 1955 أجمع المجمع المقدس وأنتخب ثلاثة من المطارنة لأدارة الكنيسة وهم الأنبا أغايوس مطران ديروط، والأنبا ميخائيل مطران أسيوط، والأنبا بنيامين مطران المنوفية.

عاد البطريرك إلى القاهرة ولكنه لم يستطع الذهاب إلى البطريركية فذهب إلى المستشفى القبطى وأقام هناك حتى أسلم نفسه الحزينة فى الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء الموافق 13 نوفمبر 1956 وتم نقل جثمانه إلى البطريركية ووضع على الكرسى البطريركى بحلته الكهنوتية وأقيمت صلاة الجناز فى مساء يوم الأربعاء 14 نوفمبر 1956.

أما خادمه ملك الذى كان سبباً فيما عانى منه البابا يوساب فقد فقد أمواله التى أكتسبها بالسيمونية. وعاش أواخر أيامه فقيراً يتسول فى شوارع الأزبكية حتى مات فى 15 مايو 1973.

خاتمة

ما بين عام 1928 و 2012

في عام 1928 اخترنا أن نحيد عن التقليد الكنسي الأصيل في إختيار الأب البطريرك فسرنا في منحدر أنتهى بنا إلى القاع. وفي عام 1959 أختارت الكنيسة أن تلتزم بتقاليد العريقة فأختارت الراهب القمص مينا المتوحد ليكون البابا كيرلس السادس البابا ال116 فبدأنا طريق الصعود الذى رفع الكرسي المرقسى إلى مكانة عظيمة فى مصر وخارجها وتمتعت الكنيسة نهضة روحية فى عهد أثنين من أعظم بطاركتها وهما البابا كيرلس السادس والبابا شنودة الثالث.

واليوم وبعد نياحة مثلث الرحمات البابا شنودة الثالث يتجدد الجدل الذى ظل يظهر كلما خلا الكرسي المرقسى منذ نياحة البابا ديمتريوس الثانى 1870 حتى الآن. فى عام 1873 أختارت الكنيسة بقيادة الأنبا باسيلوس مطران القدس التمسك بالتقليد الكنسي السليم وصدرت قرارات المجمع المقدس لعام 1873 وأنعم الله على الكنيسة بالبابا كيرلس الخامس وفى عام 1959 صححت الكنيسة المسار وأنعم الله على الكنيسة بالبابا كيرلس السادس ومن بعده البابا شنودة الثالث. أما فى عام 1928 وعام 1944 وعام 1946 فأخذنا طريق اخر فاخترت الكنيسة اختياراً مختلفاً تناولناه فى الصفحات السابقة.

الان نحن أمام مفترق طرق فماذا نختار؟ هل نريد بطريكاً عندما نتذكره نذكره بظهور ملك فى أيامه أم بطريك عندما نتذكره نذكره بظهور العذراء فى أيامه؟! أريد لأثراء الحوار حول الإختيار السليم أن أستخلص بعض الدروس من الأحداث التى ذكرت فى هذا البحث.

1- فكرة إختيار البطريرك من بين مطارنة وأساقفة الإيبارشيات بدأت عندما أرتفعت مكانة الكرسي المرقسى وصار التفكير العقلانى يتجه نحو الصفات الخارجية وتناسى هذا النوع من التفكير أن الكهنوت يحتاج لنعمه إلهيه فالكاهن أو الأسقف لكى يقوم بعمل الكهنوت يحتاج لمعونة خاصة من الله فكم بالحرى الأب البطريرك. الله يمنح نعمته للقلوب الأمينة المتواضعة التى لا تسعى وراء الكرامة ولا تصارع للحصول على الكرسي البطريركى.

الأباء المطارنة الخمسة الذين أصدروا بياناً فى عام 1942 مطالبين بقصر ترشيح وانتخاب البطريرك من بين الرهبان تساءلوا فى بيانهم "ما هو أمتياز المطارنة عن الأباء الرهبان؟ إذا ما وجه هذا السؤال نسعى جواباً واحداً وهو الخبرة والدراية والمران. إنها لأمر محزنة تؤلم النفس وتفزع الروح، أى مصدر هو مصدر هذه الخبرة والدراية والمران؟ إذا كان مصدر عالمى فهى خبرة كاذبة ودراية خادعة ومران باطل..... أما إذا كان مصدر هذه الخبرة والدراية والمران عمل الروح القدس فليتركوا الروح يعمل فى غيرهم كما عمل فيهم اللهم إذا كانوا ينكرون على الكنيسة عمل الروح فيها وقد وعد أن يكون معهم كل الأيام حتى إنقضاء الدهر".

عندما رفضت الكنيسة هذا وأختارت الأنبا مكاريوس ليكون البابا مكاريوس الثالث أختارته لأنه كان ذا خبرة ومكانة عظيمة فى الكنيسة فقد كان مطراناً لأسيوط لأكثر من أربعين عاماً وكان له فكر مستنير وبرنامج رائع لأصلاح الكنيسة وكان يملك الكثير من المواهب التى تمكنه من القيام بذلك. ولكن عندما أختير للبطريركية دخل فى صراعات مع المجلس الملى والمجمع المقدس وأنتهى به الأمر ان ترك البطريركية وذهب إلى دير الأنبا بولا. ثم عندما عاد قضى بقية أيامه فى حزن وندم حتى أنتقل من هذا العالم. وكانت فترة بطريركيته قصيرة (حوالى سنة وستة اشهر) وممتلئة بالمتاعب ولم يحقق شئ مما كان يرجوه أو كان الناس يتوقعوا أن يقوم به.

ولكن عندما أختارت الكنيسة الراهب القمص مينا المتوحد الذى كان برنامج الإصلاحي هو الصلاة والصوم نهضت الكنيسة نهضة كبيرة وعمل الله به أعمالاً عجيبة.

الله الذي اختار داود أصغر أخوته وجعله ملكاً من أعظم ملوك إسرائيل قادر أن يختار الأبناء النقي الذي يستخدمه ليسكب نعمته على كنيسته وشعبه.

الأمر العجيب في الثلاثة بطاركة الذين كانوا مطارنة إبيارشيات أنهم كانوا مطارنة ناجحين وحققوا العديد من الإنجازات وبناء على ذلك تم اختيارهم للبطيركية ولكنهم لم يستطيعوا أن يحققوا نجاحاً يذكر في البطيركية بل العكس لا نجد مقارنة بين إنجازاتهم كمطارنة وإنجازاتهم كبطاركة.

2-الكرسى المرقسى له مكانته العظيمة وله بريق، وبريق الكرسى المرقسى قد يغرى البعض فشهوة البطيركية قوية وأمامها يسقط الجابرة. التاريخ يعلمنا أن هؤلاء المطارنة الذين أشتهوا كرامة الكرسى المرقسى ليس فقط لم ينالوا الكرامة بل فقدوا كرامتهم كمطارنة. فأين كرامة البابا يوساب الثانى الذى كان مطراناً له كرامة فى جرجا وفى مصر وفى أثيوبيا والقدس وبين الكنائس الأخرى. هذا المطران الجليل المكرم عندما صار بطريركاً نراه يتعرض لهجوم المجلس الملى من الذين ناصروه فى سعيه للكرسى البطيركى وصارت ترفع ضده القضايا فى المحاكم المدنية. وعندما استسلم لتأثير خادمه ملك صار موضع سخط وغضب الشعب وأنهى به الأمر أن تم خطفه بطريقة مهينة لم يتعرض لها حتى كاهن فى قرية وليس الجالس على كرسى مارمرقس. ثم عزله المجمع المقدس وصار لا يجد مكاناً يقيم فيه فأقام فى المستشفى القبطى حتى نياحته فأين الكرامة التى نالها؟ فحقاً الذى يسعى إلى الكرامة تهرب منه.

قد يقول البعض ولكن البعض يقبل الكرسى المرقسى لأجل منفعة الشعب. التاريخ يعلمنا أن الذين قبلوا كسر القوانين الكنسية بحجة منفعة الشعب لم يفعلوا الشعب بشئ بل كانوا سبباً فى ضرر الشعب. فماذا الذى استفاده الشعب من سيطرة ملك على البابا يوساب؟ وما الذى استفاده الشعب من حيرة البابا مكاريرس مابين المجلس الملى والمجمع المقدس؟ لقد استفاد الشعب من الأنبا يوساب مطران جرجا والأنبا مكاريرس مطران أسيوط أى استفادوا منهم كمطارنة وليس كبطاركة. وقد يقول البعض أنه يقبل الكرسى البطيركى بناء على رغبة الناس. والتاريخ يعلمنا أن هؤلاء الذين خدعوا أنفسهم بذلك نالوا سخط الشعب وغضبه فأين الشعب الذى أختار الأنبا يوساب؟ وعلينا أن نقارن مابين شعبية البابا يوساب وشعبية البابا كيرلس السادس لنعرف الفرق ما بين الشعبية الزائفة ومحبة الشعب الحقيقية التى بوجودها روح الله فى نفوس الشعب.

3-أرتبط سعى المطارنة للكرسى البطيركى بالاستعانة بالسلطان لتحقيق هذا الهدف فالاسقف اسحق استعان بالملك عبدالله الذى قتل له الأسقفين اللذان وقفا فى طريق سعيه لكرسى أنطاكية. كما كان مصدر تهديد للبابا خائيل الأول. ورغبة الملك فؤاد كانت السبب فى وصول الأنبا يونس التاسع عشر لكرسى البطيركية. وقد أعترف بشجاعة الأباء المطارنة الخمسة فى بيانهم عام 1942 "إن الأنبا يونس تولى الكرسى المرقسى لأسباب قهرية خارجة عن ارادة الكنيسة". والأنبا مكاريرس أعتد على دعم المنياوى باشا فى مقابل أن يسلمه أوقاف الكنيسة. أما البابا يوساب الثانى فشاب انتخابه طرق غير مشروعة لا يوافق عليها الضمير الحى كما ذكرنا.

لذلك نجد أن الأباء الذين منعوا اختيار مطارنة الإبيارشيات للكرسى البطيركى منعوا أيضاً الاستعانة بالسلطان للحصول على الكهنوت فى أى شكل من أشكاله ويمكنكم الرجوع لقرار المجمع المقدس برئاسة البابا خائيل الأول فى القرن الثامن وقرار مجمع الكنيسة القبطية عام 1873.

أننى إذ أضع هذا البحث المتواضع أمامكم جميعاً ضارِعاً لأهلنا الصالح أن يقيم لنا راعياً صالحاً يرعى شعبه بالطهارة والعدل. واثقاً أن الكنيسة فى يد الله القوى الذى حافظ على كرسى مارمرقس وسوف يحافظ عليه حتى مجيئه الثانى.

المرفقات:

- 1-قرار المجمع المقدس للكنيسة القبطية عام 1833.
- 2-القرار الملكى لعام 1928 وطقس سيامة الأنبا يونس التاسع عشر.
- 3-بيان المطارنة الخمسة عام 1942.

